اقصوصة

احتضار الفنان

للدكتور احمد زكي ابو شادي

حينما حضرت الرسام المثال الاسباني ألونسو كانو الوفاة سنة ١٦٦٧ م . كان معه راهب رفع الصليب امامه وعليه تمثال السيد المسيح محفوراً حفراً سيئاً بعيداً عن الذوق الفني ، فاشمأز منه الفنان المحتضر وأقصاه بيده عنه . فتعجب الراهب منه وذكره بان هذا تمثال السيد المسيح ، فأجابه ألونسو كانو : « هذا صحيح يا ابتي ! ولكن لا تغظني بهذه الدمامة ، بل ناولني صليباً بسيطاً وسأتوهم بعين خيالي ان عليه تمثالاً جميلاً !

وقد صور الشاعر هذا المشهد تمهداً له بمناجاة ألونسو كانو لنفسه، ثم مصوراً الحوار الذي جرى بين الفنان والموت قبل دخول الراهب عليهما وبعد دخوله.

الفنان :

أيا (موت) إني لك المنتظر ... فعجّل ، وأقبل ، ولا تنتظر !
هلم وقبّـــل فؤادي الحفوق ... هلم فهيهـــات تلقى العقوق
فاني أتوق لهـذا اللقـــاء ... وهذا العناق وهذا الفنـاء
أيا ساحراً فرّ منـه الأنام ... وقد جحدوا حبـه للسلام
تقـــدّم فاني المحب الوفي ... تصوّف في حسنك العبقري
تقدم !

الموت :

لمـــاذا ؟ لماذا ؟ أجبني ! ... ألم تك من قبل مني فرّ مني ؟

الفنان :

أجل كان ذلـــك إبان حبي ... وإذ كان قلبي قريراً بجنـــبي
وإذ كان حولي يرف الجمـال ... وأرقى به لمراقي المحـــال
وها انا قد شخت والحب ضاع ... فأصبحت من بين غث المتاع !
وما قيمة العيش دون الهوى؟

الموت : بحسبك في الفن نبع روى !

الفنان :

لقـد عقّني الفن لمـا تولى ... حبيبي ، فلم أغدُ للفن أهـلاً
وأصبحت مثل الشريد الطريد ... ومالي حتى هوان العبيـد
لقد شخت يا (موت) !

الموت : هـــذا عجيب ... فما شاخ إلا الوحيد الكئيب

الفنان :

أما قلت اني بمنفى غريب ... وقد غاب عني الهوى والحبيب
فأصبحت ذاك المسن المريب ... وقد كنت قبلاً بنور وطيب
فلم يبق غير نزوحي القريب ... فكن انت لي يا صديقي الطبيب
وخذني الى عالم لا يُشيب !

الموت : لك ما تشاء فدائماً ... يتغلب الفنـــان !

الفنان : يا ليت هذا كان في عيشي فقد كان كفاحا
بل مزقت قلبي الجراح !

الموت : ألم تكن بمُراحا ؟

الفنان : قد كنت أمرح مثلما النيران تمرح باللهيب
وتغيب تأكل نفسها في روعة الشفق العجيب
تستأسر الأنظار وهي تذوب في حزن المغيب
أوّاه من عمر مضى عبثاً !

الموت : غداً تبدأ عمرك !

الفنان : أوّاه من ألمي !

الموت : تشجع ! سوف أقهر ما أضرّك !

(يدخل الراهب)

الراهب : عم مساء يا بني !

الفنان : أوّاه يا أبتي !

الراهب : تشجع وقبّل صليب المُخلّص !

الفنان : لا ! لا ! **(يقصي التمثال والصليب عنه)**

الراهب : **(متعجباً)** لا يا بني؟! وهذا تمثال فادي الانام !

الفنان : هذا صحيح يا أبي ... لكنني آبى الدمامه
أرضى صليباً هيناً ... لا ان يشوه بالعيوب
فلتعطـــني خشبـــاً بسيـ
ـطاً ثم ألزمني احترامـــه
واترك خيالي واهماً تمثال فادينا الحبيب!

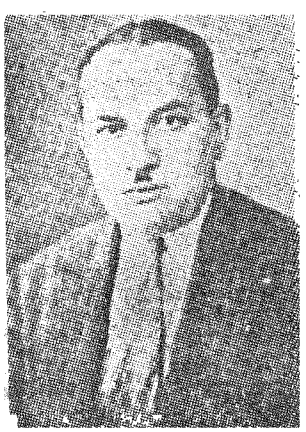

الموت :

توهّمْهُ يا فنان ! مثلك خالق !
وهيا الى الخلد الذي حُقّ للفن
ستحتفل الدنيا متى انت فُتّها
بمجدك ، لكن سوف بي عنه تستغني !

(يموت الفنان)

نيويورك احمد زكي ابو شادي